التوجيه والإرشاد
بين الشرع اليقيني والفكر الظني

التوجيه والإرشاد
بين الشرع اليقيني والفكر الظني

بحثٌ تربويٌّ شرعيٌّ،

كتبه سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين

بطلب من جامعة الملك سعود بالرّياض.

قام بصفه وإعداده للطبع/

أم الزبير شكاغ ميلاني جيوغجيت الفرنسية

الطالبة بالدراسات الإسلامية

بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

الرياض ــ المملكة العربية السعودية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزَاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير

الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة.

داعية المقال:

تلقيت رسالة الجمعيّة السّعودية للعلوم التّربويّة والنفسيّة رقم ٣٧٣/م في ٤/١١/١٤٠٩هـ تدعوني ـ كما دعت غيري ـ للمشاركة في اللقاء السّنوي الثاني للجمعيّة في شهر شعبان عام ١٤١٠.

وكان هناك أكثر من مثبّط لي عن الاستجابة لمثل هذه الدّعوة:

١) بعد سنوات عديدة من العمل في مجال التّربية الحديثة انصرفت عنها قبل بضع سنوات إلى «التّربية الشرعيّة: الدّعوة إلى الله على منهج النّبوّة». فاستبدلت الذي هو خير بالذي هو أدنى، واشتغلت بهذه عن تلك، وشكرت الله على هدايته للتي هي أقوم.

٢) رغم علاقتي السّابقة بنظريات وتطبيقات التّربية الحديثة بضعًا وعشرين سنة لم أكتسب مهارة العالم، ولا العامل المحترف، المتتبع لتطوّر أساليب التربية، المؤمن بنظرياتها، والواثق من سلامة اتجاهاتها.

وعلى هذا فإني عاجز عن تقديم رأي مفيد في تقنيّة التّوجيه والإرشاد الطلّابي على النّهج الحديث.

٣) وقد خرجت من دراستي للتّربية الحديثة وعملي فيها وارتباطي بأنظمتها أكثر سنوات عمري بيقيني أن ما سمّيناه: العلوم التّربوية والنّفسيّة لا يزيد عن نظريّات أجنبية ظنّية لا تقوم على أسس ثابتة ولا تطمع إلى درجة اليقين العلمي البشري فضلًا عن اليقين العلمي الشرعي.

وعلى هذا فإني أرى أنّ تسميتها بالنظريات والتقاليد أقرب إلى الحقيقة من تسميتها بالعلوم. وبالتالي فهي لا تشغل شيئًا من اهتمامي الآن.

طالب العلم في جزيرة العرب:

ولكن الأمر بالغ الأهمية عندي من زاوية أخرى، لعلاقته بطالب العلم المسلم في جزيرة العرب. فلا يجوز الإعراض عنه مهما تغيّرت الأسماء وتبدّلت المناهج واختلّت الموازين.

هذا الطالب هو المسؤول الأول بين البشر اليوم عن حمل ونقل ونشر وإعلاء كلمة الله في الأرض، فقد أوجب الله على هذه الأمّة قيادة البشريّة من الظلمات إلى النور، ومن الهدى والرّدى إلى الوحي والحياة، قال الله

ـ تعالى ـ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠].

وقد اختص الله جزيرة العرب وأهلها ولغتها بالأولويّة في نشر هذا الدّين بالأمس، واختصّها اليوم بما يؤَهّلها لذلك سواء من خير الدّين أو الدّنيا.

ولقاء الجمعيّة الثاني متعلّق بتوجيه هذا الطّالب وإرشاده. وأثر ذلك مؤكّد ـ سلبًا أو إيجابًا ـ على مستقبله ومستقبل البشرية في الدّنيا والآخرة ما شاء الله. والقائمون على التحضير للقاء يظهرون اهتمامًا رمزيًّا بالجانب الشرعي لهذا الأمر بتقديمهم ما أسموه: «محور التّوجيه والإرشاد الطلابي في الفكر الإسلامي»، وأعظم وأوثق وأصحّ وأثبت صيغة للتوجيه والإرشاد في المجتمع المسلم على اختلاف طبقاته وأطواره: الدعوة إلى الله على منهاج النبوّة.. وهي وظيفتي بفضل الله.

الفكر الإسلامي المبتدع

ليس للجمعية المسلمة أن تلتفت إلى «الفكر الإسلامي» نيابة عن شرع الله أو غفلة عنه.

وما سمّي ابتداعًا: «الفكر الإسلامي» شيء آخر غير شرع الله. وهو ـ مثله في ذلك كمثل الأسماء والمسمّيات المبتدعة الأخرى والمضافة زورًا إلى الإسلام، كالعمارة والفنون والتربية والآثار والمدارس والبنوك والمستشفيات والأناشيد «الإسلامية» ـ لا قداسة له. ونسبته إلى الإسلام باطلة.. فلم يخرج من مشكاة الوحي ولا صلة له ثابتة بمصادر التشريع ولا القدوة الصالحة من سلف الأمة وإن انتجته أو اقتبسته عقول من انتسبوا للإسلام حقيقة أو ظنًّا ووهمًا. وإنما زيّنه الشيطان لبعض دعاة الفكر ليصرف به المسلمين عن الوحي الإلهي المنزّه عن الخطأ إلى الفكر البشري المعرّض للضلال.. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

ويبدو لي أننا وقعنا في هذه المصيدة من مصائد إبليس ـ أعاذنا الله جميعًا منه ـ لعلّتين:

١) انصرافنا عن لغة القرآن النقيّة الواضحة الشّرعية إلى لغة الصّحف والنّشرات «الإعلاميّة» التي لا يهمّها أكثر من ملء الفراغ المحدّد لها والوصول إلى غاياتها الدّنيا باللغة الدّارجة الرّخيصة. وأكثر القائمين عليها لم يملكوا من زمام العربية الفصحى أو العلم الشرعي ما يؤهلهم لأكثر من ذلك. وهذه البلوى العامّة من أهم ما يجب بحثه في هذا اللقاء لأنّ اللغة أوّل وأعظم وسائل التوجيه والإرشاد.

ولعجزي عن تشخيص هذا الدّاء ووصف الدّواء بتفصيل أكثر فسأكتفي هنا باقتراح إعادة لغة القرآن (رسمًا وإعرابًا وأسلوبًا) إلى معاهد ومجالس العلم كما كانت قبل، وأن يبدأ طالب العلم بتعلّم اللغة العربية كما وردت في كتاب الله ـ خير مرجع لها ـ ولو صُرفت أكثر السّنوات الأولى للدّراسة في تلاوة القرآن وتدبّره ومحاولة العمل به قدر المستطاع.

ومن الإنصاف أن أسجّل هنا أن ملك المغرب قد اهتم بهذا الأمر قبل بضع عشرة سنة فأصدر قرارًا بألّا

يدخل المدرسة الابتدائية من لم يمض سنتين في مدارس القرآن، ولكن التنفيذ العصري لهذا القرار أضاع فائدته.

ولئن اقترحت اتخاذ كتاب الله وسيلة ـ في السنوات الأولى للتعليم ـ يستفيد بها الطّالب المسلم العربي لغته الأصيلة.. فإن الغاية العظمى لتعلّم اللغة العربية الصّحيحة: تدبر كتاب الله وفهمه، واتخاذه موجّها ومرشدًا فوق الجميع، وتحكيمه في كلّ صغيرة وكبيرة وحركة وسكنة من حياة المسلم وفقًا لسنّة النبي ﷺ وسبيل المؤمنين في القرون المفضّلة ومن سار على نهجهم.

لغة القرآن (كلام الله) بنقائها وصفائها ووضوحها وجمالها وثباتها وقدسيّتها.. لا يجوز ـ شرعًا ولا عقلًا ـ وضعها على الرّف وتحديد إقامتها بين أوراق المصحف ليصبح جزء من قواعدها ورسمها وأسلوبها ـ مع مرور الزّمن ـ نَشَازًا يصعب فهمه أو تدبّره أو تلاوته دون تفسير باللغة الدّارجة (بكدر منابعها وخَطَلها ولين عريكتها لأدنى الغزاة).. وأعظم ما يكون هذا الإثم حين ترتكب في جزيرة العرب التي اصطفى الله لغتها للقرآن واصطفى أرضها لبعثة محمد ﷺ واصطفى أهلها لحمل أوّل راية تغزو الأرض لنشر الرسالة الإلهية الخالدة في الآفاق، ثم اصطفاها في القرون الثلاثة الأخيرة لتجديد الدّين بعد

قرون من الابتداع. ولو لم نلتفت للشرع ولا للعقل في دراستنا لهذه القضيّة ـ أعاذنا الله من ذلك ـ لكفانا الاعتبار بالتجربة العمليّة. فمنذ بعثة محمد ﷺ أورثنا التّعليم بلغة القرآن كلّ إرثنا من العلم والعلماء.. بينما أورثنا نصف قرن من التعليم الحديث كثيرًا من حملة الشهادات والألقاب الدّراسية الأعجميّة يعجز أحدهم عن مجرد الإحاطة بقدر يذكر من ذلك الإرث العلمي العظيم.. بل لقد يعجز أكثرهم عن تلاوة القرآن والحديث (أساس حياة المسلم في الدّنيا والآخرة) تلاوة صحيحة رغم محاولات التّطوير والتّغيير والتّبديل اللاهثة في أساليب تعليم اللغة العربيّة والشّريعة.

٢) وهي نتيجة حتميّة لما سبقها: أن أكثر المتطوعين أو الموظّفين للتّوجيه والإرشاد في المجتمع المسلم الحاضر (ومنهم الدعاة إلى الله) لا يملكون أهم وسائل هذه الوظيفة القيادية العظيمة: اللغة العربيّة الفصحى والعلم الشرعي الصّحيح. ولذلك فقد زُيِّن لهم ابتداع أسماء جديدة تريحهم من عناء الحصول على ما يفتقدونه من المؤهِّلات الضّروريّة لوظائف الدّعاة والمصلحين.

وهكذا تسلّلت في ظلام الجهل مصطلحات جديدة: الفكر الإسلامي.. الثقافة الإسلامية .. التربية الإسلامية؛

لتغتصب مكان العلم الشرعي، وأوصاف جديدة: التّوعية الإسلامية.. المحاضرة.. النّدوة.. المؤتمر الإسلامي؛ لتغتصب ميدان الدعوة إلى الله: الموعظة.. الخطبة.. وحلقة العلم الشرعي. وألقاب جديدة: المفكّر الإسلامي.. الكاتب الإسلامي.. الدّاعية الإسلامي الكبير.. الأستاذ .. الدّكتور؛ لتغتصب مكان ومنبر العالم الشرعي.

وبهذا أصبح شرع الله والدّعوة إليه حِمىً مستباحًا لكلّ طامع، تحميه المصطلحات والأوصاف والألقاب «الإسلاميّة» المبتدعة من مطالبته بالمؤهّلات الشرعيّة كما يُطالب النجّار والحدّاد والطبيب والمهندس بمؤهلات مهنهم قبل توظيفهم.

بذور التحوّل
عن الوحي إلى الفكر

ابتلي المسلمون بعد القرون المفضّلة باتجاه بعض علمائهم إلى الفكر اليوناني (المتأثّر بالصّوفية والفلسفة الوثنيّة الهنديّة) يدرسونه ويترجمونه، ثم جرّهم إعجابهم به إلى استخدام أسسه للتعريف بالله وبشرعه. فَضَلَّ كثير منهم ومن أتباعهم بما سمّوه: «علم الكلام» فلم يزدهم إلّا بُعدًا عن معرفة الله وتدبّر كتابه واتباع سنة رسوله ﷺ وتنفيذ أحكام شرعه المطهّر.

واليوم يبتلى المسلمون باتجاه بعض مثقّفيهم إلى الحضارة الغربيّة وأنماط حياتها ومؤسساتها، يحاولون تبنيها والجمع بينها وبين شرع الله بإضافة «طلاء إسلامي» على غلافها الخارجي بدلًا من غزوها بشريعة الله.. فظهر البنك الإسلامي والمستشفى الإسلامي ونادي الرّياضة البدنية الإسلامي وفرقة الفن الإسلامي والمدرسة الإسلاميّة ومعهد

الفكر الإسلامي وجامعات وكليات وأقسام الدّراسة الإسلاميّة على النّهج العلماني. وَوُصِف الله ﷻ بالقيادة العليا، ووصف كلماته المطهّرة بالإيقاع الموسيقى والتّصور الفنّي، وَوُصِف الرسول ﷺ بالعبقريّة، ووصف الإسلام بالدّيمقراطية والاشتراكية، وليت الخَطْب وقف عند هذا الحدّ.. إذ هبط بعض مثقفي المسلمين دركًا أسفل في تِيهِ الانْفِلات من طريق الوحي فحاولوا (مثل سلفهم المخدوع بالفكر اليوناني) استخدام العلوم العصريّة ـ على قِصَر باعهم فيها ـ للتّعريف بالوحي من الكتاب والسّنّة والاستدلال على صحة شرع الله ـ على جهل به ـ بما وصلت إليه أفكار العلمانيّين من اليهود والنّصارى والملحدين من نظريّات واستنتاجات نصيبها من الظّن يخالط ـ أو يغلب ـ نصيبها من الحقيقة.. فساروا في اتجاه خطر على مستقبل الإسلام والمسلمين بربط الوحي الإلهي بالفكر البشري والاعتماد عليه في فهم النّصوص والأحكام الشرعية.. وما يتبع ذلك من انتماء إلى قادة الفكر العلماني وتقديرهم ومحبتهم وتعظيم شأنهم والامتنان لهم في فهمنا وتقبّلنا للدّين الذي ميّزنا الله به إضافة إلى ما ميّزهم الله به من الدّنيا ومتاعها مما قضى الله أن يكون جنة الكافر ومتاع الغرور.

وقد وجد الشيطان في ذلك ما يشغل به مجالس العلم والوعظ وخطب الجمعة والعيدين مما فرض الله فيه الاتباع ومنع فيه الابتداع، مثل سائر العبادات؛ فانشغل المسلمون بخطب منمقة ساحرة (تدغدغ عواطفهم وتستمرئها نفوسهم) عن العلم الشرعي الصحيح والدّعوة إلى الله على منهاج النّبوّة: الطريق الربّاني لتصحيح معتقدهم وعبادتهم، ولتوجيههم لصالح دينهم ودنياهم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠٨]، ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ...﴾ [الشّورىٰ: ١٥].

لا أشك في حسن قصد أغلب هؤلاء الموجّهين والمرشدين والدّعاة الذين انحرفوا بالدّعوة إلى الله من طريق الاتباع إلى طريق الابتداع.. ولا أشك في سوء عملهم ـ غفر الله لي ولهم ـ، ولكن صلاح النّيّة لا يغني شيئًا مع فساد العمل، كما أن صلاح العمل لا يغني شيئًا مع فساد النّيّة، ولا يصلح العمل إلّا باتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسبيل السّلف الصّالح في الاعتقاد والعمل والدعوة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ

مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النّسَاء: ١١٥].

وصحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة» [رواه مسلم].

نتائج التحوّل
عن الوحي إلى الفكر

أ) لقد أحدث تعلّق بعض علماء المسلمين القدامى بالفكر البشريّ ثغرةً عظيمة في عقيدة وعبادة كثير من المسلمين اتّسعت في القرون المتأخرة حتى تأثّر بها أغلبيتهم، وإليك البيان بإيجاز:

ظهرت في المجتمع المسلم بين عبّاده تقاليد الرهبانيّة الصّوفيّة الهنديّة الوثنيّة (أهم روافد الفكر اليوناني) من الحرمان والفَنَاء والعشق الإلهي، وظهرت عقائد الحلول والاتحاد والوحدة، واستحلّ بعض علماء التّصوّف التأويل الباطني لنصوص الكتاب والسّنّة وتحكيم الكشف والذّوق في شرع الله لعباده، وانتهى ذلك بعامّة المسلمين على اختلاف طوائفهم إلى عبادة القبور والأضرحة والمقامات المنسوبة إلى الأنبياء والصّالحين؛ أساس الشرك الأكبر ومظهره في كلّ ملّة منذ عهد نوح عليه السلام إلى قيام السّاعة.

وعندما ظهر في المجتمع المسلم من يقول: (ما في الجُبَّة إلّا الله)، (الحلّاج) صُلِبَ ـ عام ٣٠٩ هـ ـ، وعندما ظهر في المجتمع المسلم من يقول: (سبحاني ما أعظم شأني) ويقول: (خرجت من الله إلى الله، حتى صاح منّي فيّ: يا من أنا أنت)، (طيفور البسطامي) ـ عام ٢٦١هـ ـ، عدّ كلامه من الشطحات الصّوفيّة «اللّاواعية». ثم جاء (أبو حامد الغزالي) ـ ٥٠٥هـ ـ الذي يلقب بحجّة الإسلام، ويعترف له المستشرق (نيكلسون) بالفضل في (فتح الباب لعقيدة وحدة الوجود عند ابن عربي)، وأمثاله. ويعترف له المستشرق (كولدزيهر) بأنه (أنقذ الصّوفيّة من عزلتها التي وجدها عليها وسهّل لها الالتحاق بالدّين، وجعلها عنصرًا مألوفًا في الحياة الدّينية الإسلاميّة).

قاد الفكرُ الـ(الغزاليّ) إلى أن يَعُدَّ من مراتب التوحيد: (تصديق القلب بمعنى اللفظ «لا إله إلا الله» كما يصدّق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوامّ.. والمشاهدة بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقرّبين.. وألا يَرَى في الوجود إلّا واحدًا وهو مشاهدة الصّدّيقين وتُسمّيه الصّوفية: الفَناء في التوحيد) .

وقاده الفكر إلى أن يعدّ من أعلى مقامات الموحّدين من: (لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكلّ من

حيث أنّه كثير، بل من حيث أنه واحد.. وهذه هي الغاية القصوى في التّوحيد).

وقاده الفكر إلى أن يصف هذه السّفسطة الوثنيّة بأنها: (غاية علوم المكاشفات.. وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب، فقد قال العارفون: إفشاء سرّ الرّبوية كفر)[١].

ولعلّ هذا التوجيه إلى الفلسفة الصّوفيّة الوثنية من حجّة الفكر الإسلامي، هو الذي يسّر لابن عربي ـ ويلقّب بالشيخ الأكبر ـ أن يقول: (سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها)[٢]، وأن يقول: (إن العارف من يرى الحقّ [الله] في كلّ شيء، بل يراه عين كلّ شيء)[٣]، وأن يقول: (والعارف المكمّل من رأى كل معبود مَجْلىً للحقّ [الله] يُعْبَد فيه، ولذلك سمّوه كلهم إلهًا مع اسمه الخاصّ بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك)[٤].

وللمزيد من الأمثلة على ما انتهى إليه الفكر ـ أو

(١) إحياء علوم الدّين [جـ٤ ص ٢٤٠ و٢٤١ مطبعة دار إحياء الكتب العربية].
(٢) الفتوحات المكيّة جـ٢ ص٦٠٤.
(٣) فصوص الحكم جـ١ ص١٩٢.
(٤) فصوص الحكم جـ١ ص١٩٥.

الكفر ـ «الإسلامي» يراجع كتاب (هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل).

ب) واليوم يقودنا «الفكر الإسلامي» إلى شفا ثغرة جديدة تكاد تفتح في عقيدة المسلم وفهمه وانتمائه لشرع الله من كتابه وسنة رسوله ﷺ بسبب حماس بعض الموجهين والدّعاة ـ على جهل بالعلم الشرعي والعلوم العصريّة ـ وتهافتهم لإثبات سبق القرآن والحديث في مجال النّظريّات الفلكيّة والطبيعيّة.

والخطر في هذا الاتجاه والتّوجيه متعدّد الشعب:

١ ـ في الإسلام: الوحي فوق الفكر.. والغيب فوق المشاهدة.. والحقيقة الشرعيّة فوق الاصطلاحات البشريّة .

الإسلام يقوم على الإيمان بالغيب.. وليطمئن قلب العبد فله أن ينظر بإدراكه الحسّي في نفسه وما حوله ويزداد يقينًا بأن خالق ذلك كلّه هو وحده المستحق للعبادة.

وليس له أن يتجاوز حدّه فيتبع الظنّ أو يقفو ما ليس له به علم ويبني معتقده أو فهمه لنصوص الكتاب والسّنّة على نظريّات حديثة لا سبيل له إلى التثبت من صحّتها واستبانة الحدّ الفاصل فيها بين الحقيقة والخيال وبين القطع والاحتمال ولو أيّدها أهل الأرض قاطبة في وقت من الأوقات.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ٢٨﴾ [النجم: ٢٨].

وتوجيه المسلم إلى بناء إيمانه على المشاهدات وعلوم البشر تغييرٌ لِـخَلْق الله ومخالفة لشرعه في الدّعوة إلى سبيله؛ فإن من مميّزات هذا الدّين أنه لم يقم على معجزة ماديّة، ولم يرض رسول الله ﷺ لنفسه ولا لأمّته الشّكّ ولا سؤال الذين يتلون الكتاب من قبله ولا النّظر في كتبهم «المقدّسة» المحرّفة.

ومن سنّة الله في خلقه أنّ من طلب ذلك شرطًا للهداية لا يهتدي، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾ [الأنعام: ١٠٩، ١١٠].

٢ ـ توجيه نظر المسلم وقلبه وشد انتباهه إلى

إنجازات الحضارة العلمانيّة ـ مطلقًا ـ تثبيت لانحراف الأمّة بإعجابها وإكبارها وتقليدها لهذه الحضارة وثقافتها وأهدافها الدّنيويّة.. هذه الهزيمة النفسيّة التي يعيشها المسلم في هذا العصر أكثر من أيّ وقت مضى في تاريخ الإسلام.

وما اختراع اسم ومسمّى الفكر الإسلامي والثقافة الإسلاميّة وأسلمة الثقافة العلمانيّة إلّا استسلام لهذه الهزيمة وتقبّل لها بعد تمويهها بطلاء لغوي خارجي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا. وللتّحقّق من ذلك ليس على قارئ هذه الأسطر إلا أن ينظر في مناهج وأساليب وممارسات الثقافة والفكر «المُؤْسْلَم»: المدرسة الإسلامية.. البنك الإسلامي.. المستشفى الإسلامي.. النادي الرياضي الإسلامي.. الفرقة الفنية الإسلامية.. أقسام الإعلام والاقتصاد والاجتماع الإسلاميّة.. المرشح الإسلامي لانتخابات البرلمان العلماني؛ ليجدها بديلًا عصريا لشرع الله، علمانيّة لحمة وسدى إلّا من إضافة بعض الشكليّات الدّعائية.. وتغيير قليل من المظاهر والعناوين.

٣ ـ وإذا وصف التقليد العلماني بأنه: فكر أو عمل إسلامي ضعفت احتمالات مقاومته إلى الأبد، وتحوّل مع

الزّمن شرعًا لم يأذن به الله يَتَعَبّد المسلم به ويُوجِّه إليه باسم التّوجيه ضدّه.. وهذا ما حدث فعلًا من قبل ومن بعد في المجتمع المسلم بعد انقطاع الوحي وزوال الخلافة الرّاشدة القدوة الأولى.

بالأمس اقتبس المسلمون في العصر الأموي من شكل العمارة الكنسيّة البيزنطيّة: القبّة والأقواس لبناء المساجد.. ثم نقل شكل برج الكنيسة للمئذنة، وشكل مذبح الكنيسة للمحراب، واتخذ الهلال رمزًا للإسلام تقليدًا لرموز الأديان الضّالّة، وتعبّد المسلمون بالتمايل عند التلاوة كاليهود، وبتعطيل الأعمال يوم الجمعة أسوة بسبت اليهود وأحَد النّصارى، وحُدِّد يوم في السّنة للاحتفال بمولد النبي ﷺ، ويوم آخر للاحتفال بإسرائه ومعراجه، ويوم آخر للاحتفال برأس السنة الهجرية، كما احتفل النصارى بمولد المسيح ورفعه إلى السماء عليه السلام ورأس السنّة الكريكورية، وخصّ العالم والعامل في الشّؤون الدّينيّة بلباس خاصّ أسوة بالقسيسين والرّهبان وعبّاد الأوثان.

وصدق رسول الله ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ أَوْ ذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ». قالوا: اليهود والنّصارى؟ قال: «فَمَنْ؟».

واليوم سُمِّيتْ عمارة المساجد المقتبسة من الكنائس البيزنطية عمارة إسلامية، لا يشكّ أكثر المسلمين في أنها كذلك، وعُدَّ تقليد اليهود والنّصارى دينًا.

وتطوّر الانحراف بالتقليد إلى أعظم من ذلك، فكما نفى اليهود والنّصارى صفة البشرية عن العُزير وعيسى عليهما السلام، نفى كثير من المسلمين المنتسبين إلى السّنّة ـ فضلًا عن غيرهم ـ صفة البشرية عن محمد ﷺ، فادّعوا أنّه مخلوق من نور الله، وادّعى شاعرهم البوصيري في البردة: أنّ من نِعَم محمد ﷺ على الخلق: الدّنيا والآخرة، وأنّ من علومه: علم اللّوح والقلم:

وإن من جودك الدّنيا وضرتّها
ومن علومك علم اللّوح والقلم

وأكثر المسلمين اليوم يقرّون هذا الكفر بوحدانيّة الله في ربوبيّته وألوهيّته وأسمائه وصفاته، ويتعبّدون بتلاوته، ويُنادَى به على المآذن قبل صلاة الفجر والجمعة في أكثر بلادهم.

والتقى أكثر المنتسبين إلى السّنّة في القرون المتأخّرة مع الطّوائف الضّالة المنتسبة إلى الإسلام في تقليد اليهود والنّصارى في بناء بيوت الله على أوثان الأضرحة والمقامات

في مخالفة صريحة لآخر وصايا النّبي ﷺ لأمّته: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» قالت عائشة رضي الله عنها: يحذّر مثل الذي صنعوا. [متفق عليه].

بل لقد نافس المسلمون اليهود ثم اجتمعوا معهم على هذه المخالفة الشركية فيما سُمّي بالحرم الإبراهيمي في فلسطين، ونافسوا النّصارى ثم اجتمعوا معهم على هذه المخالفة الشركية في مقامات الخضر عليه السلام، ومع أعدائهم الباطنيين في أكثر من مسجد مبنيّ على قبر، وفي كلّ بلاد المسلمين خارج جزيرة العرب.

٤ ـ كان المسلم المرتبط أو المنفصل عن دينه يضيق بالاحتلال الأجنبي للبلد المسلم عسكريًّا، ثم استبدل الاحتلال الثقافي والفكري بالاحتلال العسكري، فَغُزِي المسلم في عقله وعواطفه ونمط حياته، وأصبح عالة على الحضارة الصّناعيّة العلمانيّة لا يجد (وفى الغالب لا يبتغي) منها فكاكًا، ولا يتصوّر الحياة بدون منتجاتها الماديّة والفكريّة.

هذه آفة مخيفة لما تنطوي عليه من شعور خفيّ في صدر المسلم بالإعجاب والإبكار والامتنان والارتباط بعدوّه والاعتماد عليه، بل ومحبّته بالفعل وإن أظهر بغضه

بالقول.. هذه طامة دنيويّة.. ولكنّ الطامّة الكبرى أن يتسلّل هذا الشعور ويتحوّل بسبب «أسلمة» الثقافة والفكر العلماني إلى إعجاب وإكبار وامتنان وارتباط واعتماد على العدوّ في الدّين، وإليك المثال:

كان المسلم يوجّه إلى استعمال السّواك (مثلًا) استجابة لما صحّ عن الرّسول ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ» [متفق عليه]، «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» [رواه أحمد وغيره].

وكان المسلم يوجّه إلى غمس الذّباب في الشّراب استجابة لما صحّ عن رسول الله ﷺ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيُغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً وَفِي الآخَرِ شِفَاءً» [رواه البخاري وغيره].

وفي استجابة المسلم لذلك تكون الطاعة والمنّة خالصة لله ثم لرسوله ﷺ.

ويجيء «الفكر الإسلامي» الدّخيل فيوجّه المسلم إلى أن السّواك والذّباب أُدْخلا المختبرات الطّبّيّة الغربيّة فثبت أن السّواك يحتوي على مضادّ للبكتيريا وأن في أحد جناحي الذّباب مضادّ للبكتيريا التي يحملها الجناح الآخر.. وتبدأ الطاعة والامتنان (في الدّين) في التحوّل إلى شركة بين الله ورسوله ﷺ وبين الثقافة العلمانيّة.

وفي مقام آخر، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [الرَّحمٰن: ٣٣]، **وسبيل المؤمنين ـ أئمتهم وعلمائهم ـ في تفسير هذه الآية منذ نزلت حتى القرن الماضي: توجيه المسلم إلى قدرة الله وحده وعجز غيره، وأنّه لا مفرّ من قضاء الله وقدره إلّا إلى قضائه وقدره، ولا عاصم من أمره إلّا أمره.**

ويجيء الفكر «الإسلامي» المبتدع يوجّه المسلم إلى قدرة الحضارة العلمانيّة ـ فكرًا وصناعة ـ مفسرًا الآية بأنّه لا يستطيع تجاوز حدود السّموات والأرض إلّا من ملك زمام العلوم والتّقنيّات العصريّة، مسمّيًا ذلك إعجازًا علميًّا للقرآن ظاهرًا، وهو في تأثيره النّفسي: إعجاز للحضارة العلمانيّة، وربط للدّين بأعدائه، وإبعاد للمسلم عن العلم الشّرعي.

أمثلة للتّوجيه والإرشاد الطلابيّ محكومًا بشرع الله

١) طالب العلم بين مرحلتين في حياته ـ ولا أهمية لمخالفة التّربيّة العلمانيّة لذلك ـ: مرحلة الطّفولة ومرحلة البلوغ، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النّور: ٥٩].

في المرحلة الأولى يُوجَّه ويُرشَد ويُجبَر في حدود قدرته وفي حدود شرع الله بما يراه ولاة الأمر من المصالح الشرعيّة لدينه ودنياه. ودليل ذلك قول النّبي ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ»

[رواه أحمد وغيره].

وفي المرحلة الثانية يُوَجَّه ويُرْشَد ويُعطَى من الاختيار ما أعطاه الله في الحقوق والواجبات.. ولما كان الله قد أهّله في بداية هذه المرحلة لتحمّل التكاليف الشرعيّة

والحصول على الحقوق الشرعيّة كما حمّل المسلم في أي سنّ بعد ذلك القيام بجميع شرائع الدّين حسب استطاعته.. وأهّله للزّواج والإنجاب وتربية الذّريّة ورعاية الأسرة، فليس للمدرسة أن تخالف سنّة الله وفطرته التي فطر النّاس عليها، فتَعُدُّه طفلًا أو مراهقًا لم يتأهّل بعد لتحمّل مسؤولية دراسته وحياته.

٢) المسلم طالب علم حتى يتوفّاه الله أو يردّه: ﴿إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [الحَجّ: ٥].

ولكن المدرسة الحديثة في المجتمع المسلم ـ وإن ادّعت في لوحة الإعلانات أو على الجدران أن العلم من المهد إلى اللّحد ـ تقلّد النظام العلماني بوضع عوائق كثيرة في طريق استمرار طلب العلم، وأوّلها عائق السّنّ. ولتعود المدرسة ويعود المسلم إلى رسم طريقة الحاضر والمستقبل على نور من هدى الله، لا بدّ من التحرّر من قيود الإدارة الحديثة العلمانيّة وإقامة التّربية والتعليم والتّوجيه والإرشاد والدّعوة على أساس من شرع الله وسنّته وفطرته لخلقه.

وعلى هذا الأساس ليس على المؤسسة التّعليميّة إلّا أن تمكّن طلابها من وسائل طلب العلم، وتحثّهم عليه، وتثير اهتمامهم به، وتَطَلُّعهم إلى الاستمرار فيه أثناء وبعد

تركهم مقاعد الدّراسة، وداخل وخارج حدود التّنظيم الضّروريّة لطلب العلم.

وعلى المؤسسة التعليميّة أن تعترف وأن تؤكّد لطلابها ـ قولًا وعملًا ـ أن أهمّ العلوم وأرقاها وأصدقها وأوثقها صلة بحاضر ومستقبل حياتهم الدّنيا والآخرة: على شرع الله، وأنّه العِلم الوحيد الذي يجب على كلّ مسلم طَلَبُه. وأن يكون القصد من طلبه: العمل به بعد الحصول عليه، ثم تبليغه، لا المنافسة على الدّرجات ولا الشهادة المدرسيّة ولا الوظيفة ولا الجاه ولا المال. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الله ﷻ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ» [رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح].

٣) وظيفة المسلم في هذا العالم: القيادة لا التّبعيّة.. ومهمّته الأولى والأخيرة: بلوغ رضى الله برحمة الله، ثم بطاعة العبد له والتزامه بسنة نبيّه ﷺ، والاقتداء بالسّلف الصّالح من هذه الأمّة، وطاعة أولي الأمر من المسلمين في طاعة الله.. والدّعوة إلى سبيل الله على بصيرة لإخراج الناس من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق وحده لا شريك له، ومن ضيق الحياة إلى سعتها، ومن جور الأهواء إلى عدل الإسلام.

فلتحذر المؤسسة التّعلميّة من توجيهه إلى الانتقال من وظيفة القيادة العليا إلى وظيفة التبعيّة الدّنيا بالقول أو الفعل أو الايحاء بوقوعها هي من أخمص القدم إلى الأذنين في التّبعيّة العمياء والتقليد الجاهل.

٤) المسلم أصل في عمل الدّنيا للآخرة، والكافر أصل في عمل الدّنيا للدّنيا، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: ٥٦]، ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزّخرُف: ٣٣، ٣٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمَّد: ١٢]. وقال رسول الله ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ**» [رواه مسلم].

وعلى هذا، فليس للمؤسسة التّعليميّة في المجتمع المسلم إلّا أن توجّه طالب العلم إلى صرف أغلب اهتمامه وجهده إلى العمل لما هو أصل فيه والمحافظة عليه ونشره وغزو العالم به، وأن يقلّل من اهتمامه بما لم يُخلق له ومنافسة أهله فيه، فالأصل يفوق التقليد، والأصيل قائد بأصله ما تمسّك به واعتزّ به وواجه العالم به، والمقلّد تابع ذليل حتى النّهاية.

٥) ووظيفة المسلم في الأرض عمارتها بطاعة الله استعدادًا للحياة الآخرة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ [هُود: ٦١]. **فلا بدّ أن يعيش حياة جدّيّة واقعيّة حقيقيّة.. ولا يجوز له أن يشغل نفسه أو وقته أو ماله في اللّهو والخيال والافتعال، قال الله ـ تعالى ـ:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧﴾ [لقمَان: ٦، ٧].

وليس للمؤسسة التّعليميّة أن تهدر الوقت والجهد والنّشاط والمال في نشر التربية الرّياضية المستوردة القائمة على التقليد والافتعال، ولا في نشر التّربية الفنّيّة المستوردة القائمة على التّقليد والخيال.

ولو عادت المؤسسة التّعليميّة في المجتمع المسلم من رحلة التّقليد والخيال والافتعال والمحاكاة الببغائية لمن لا خلاق لهم في الدّنيا ولا في الآخرة، ولو عادت إلى الواقع الشرعي فوجّهت طالب العلم قولًا وعملًا إلى القيام بواجباته الشرعية الشاملة لإصلاح علاقته بربه وبأهله وبأخيه الإنسان وبالكون، وخدمته لنفسه ولغيره والدّعوة

إلى الله على بصيرة لما بقيت له حاجة بالحركات البهلوانيّة والأفكار الخياليّة لبناء جسمه أو عقله أو خلقه أو ذوقه، ولن يعدم نصيبه من التّرويح المباح بلا تنظيم تقليدي معقّد ولا هدد في الأموال والأوقات والأعصاب.

٦) نوع التنافس الوحيد الذي أمر الله به وهدى إليه كتابه ورسوله ﷺ، هو التّنافس على الطاعة والتّقوى والعمل الصالح الذي يقود إلى المغفرة والجنّة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [المطفّفين: ٢٢ ـ ٢٦].

أما الحرص على الدّنيا ومالها وجاهها فيقول عنه النّبي ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» [رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح.]. ويقول لابن عمر رضي الله عنهما: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» [رواه البخاري]. ويقول: «أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ

فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» متفق عليه. ويقول: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا» [متفق عليه].

إذن، فلتُسْقِط المؤسسة التّعليميّة من حسابها جميع ألوان التّنافس والطّموح الدّنيوي التّقليدي، ومنه التّنافس بين طالبين لم يخلقهما الله متساويين في القدرة على الاستيعاب ولا فيما قدّره الله وقضاه لكلّ منهما، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]. وعوضًا عن هذا التنافس الجائر يوجّه الطّالب ويشجّع على استخدام ما أعطاه الله من قدرة استخدامًا أفضل يحاول فيه أن يغلب مستقبله ماضيه.

وأوّل ما يجب على المؤسّسة التّعليميّة إسقاطه من حسابها: كلّ ألوان التنافس الخيالي والافتعالي، وعلى الأخصّ التنافس في الألعاب الرّياضية التي أصبحت عبئًا على وقت المسلم وماله وجهده وعلاقته بأخيه المسلم.

٧) ولاء المسلم: لله ولرسوله وللسّلف الصّالح من المؤمنين ومن سار على نهجهم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المَائدة: ٥٥، ٥٦].

وعلى المؤسّسة التّعليميّة أن توجّه طلّابها في هذا الاتجاه لا للفكر ولا للثقافة ولا للجماعة ولا للفرق ولا للحزب ولا للطريقة ولا للشيخ، لا عبودية إلا لله، ولا تبعيّة إلا لشرعه، ولا قدوة إلا رسوله ﷺ ومن اتّبع منهجه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ويكفي المجتمع المسلم ما لقيه من ضياع في الدّين والدّنيا بسبب توزّع ولائه بين الجماعات والأحزاب والفرق والطّوائف والطّرق «الإسلاميّة» في مخالفة واضحة لأمر الله ـ تعالى ـ للمسلمين بالاعتصام بشرعه وعدم التفرق فيه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

٨) المسلم المكلّف في حدود استطاعته بتحقيق ذاته

فيما يرضي الله ﷻ، ليس له أن يكون «إمّعة إن أحسن النّاس أحسن وإن أساء النّاس أساء»، وليس له ن يكون «مسمارًا في عجلة المجتمع» تدور به العجلة حيث دارت ذات اليمين أو ذات الشمال. فهذا هو الطّريق الذي سلكه من ضلّ عن هدى الله: ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ [لقمَان: ٢١].

ولا يليق به بعد أن حرّره الله من عبوديّة الهوى وعبوديّة العباد بالتوحيد أن ينتمي إلى ذلك الفكر أو ذلك المنهج من أفكار البشر ومناهجهم سواء سمّيت إسلاميّة أو علمانيّة أو اشتراكيّة أو ديمقراطيّة.

وواجب المؤسّسة التّعليميّة: تعويده على مواجهة مسؤوليّاته وتحّملها في أبكر سنّ ممكن، وأن يتجاوز اهتمامه صلاح نفسه إلى إصلاح غيره، قال الله ـ تعالى ـ لنبيّه محمد ﷺ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠٨]. والتفات المسلم إلى سبل أهل الضّلال وقد منّ الله عليه بسبيل الهدى كُفْر بنعمة الله، وانتماؤه إلى مناهج البشر مسلمين أو غير مسلمين وقد منّ الله عليه بسنة محمد ﷺ ضلال مبين.

٩) والمسلم في حاجة مستمرّة إلى إعادة النّظر في

نيّته وقوله وعمله وتقاليد مجتمعه بعرضها على شرع الله حتى لا تغلبه الألفة والعادة على دينه وعقله.. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النِّسَاء: ٥٩].

وعلى المؤسّسة التّعليميّة أن تثير فيه الرّغبة لنقد ذاته ونقد مجتمعه، وتصحيح اتّجاهه وفق شرع الله، ومحاولة إخضاع التّقاليد والمناهج والعادات لميزان الكتاب والسّنّة؛ ما وافقهما قَبِلَه عن طيب خاطر ولو خالف هواه أو عقله، وما خالفهما «فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

ليس له أن يقول: (وطني دائمًا على الحق)، كما قالها رئيس قرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.

وليس له أن يساير مجتمعه في تعريفه الكرم بكثرة الولائم للأغنياء والوجهاء والأصدقاء ومن ينتظر منه المقابلة بالمثل، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩﴾ [الإنسَان: ٨، ٩].

وليس له أن يساير مجتمعه في تعريف الشجاع بأنه من يكيل الصّاع صاعين للخصم ويهاب بأسَه الناس، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النّحل: ١٢٦]. وقال النّبي ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» متفق عليه.

والتواضع والتّذلّل للمسلم من صفات خير هذه الأمة: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المَائدة: ٥٤]، وإن فهم المجتمع غير ذلك.

والانتصار للوطنيّة والقبليّة والجماعة والفريق والطّائفة والحزب، والميل مع أيٍّ منها على الحقّ والباطل: «حميّة الجاهليّة» ومخالفة لشرع الله، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النّسَاء: ١٣٥].

الدّعوة إلى الله على بصيرة

وخير شكل وموضوع للتّوجيه والإرشاد الطّلابي وغير الطّلابي هو ما اختار الله وأرسل به رسله لجميع خلقه في كلّ زمان ومكان: الدّعوة إلى الله على منهاج النّبوّة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف: ١٠٨]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصّلَت: ٣٣].

وعلى المؤسّسة التّعليميّة أن تلزم نفسها بذلك وتوجّه طلابها إليه، وألا تغترّ بما فتن به الشيطان أكثر الموجّهين والمرشدين والخطباء والوعّاظ اليوم، من تركيز الدّعوة على القضايا الطّارئة والانشغال بها عن القضايا الثابتة التي لا يختلف في الارتباط بها فرد عن فرد ولا مجتمع عن مجتمع ولا عصر عن عصر من آدم عليه السلام حتى آخر أمّة محمد ﷺ.

منهاج النّبي ﷺ هو وحده العمل الصّالح المشروع في الدّين والدّعوة إليه، وهو منهاج الرّسل من قبله ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ: التركيز أولًا وأخيرًا على الدّعوة إلى توحيد الألوهية بأنه لا معبود بحق إلا الله، وهو المعنى الصحيح للكلمة الطّيبة: «لا إله إلا الله». قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النّحل: ٣٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبيَاء: ٢٥].

ولا يجوز (بحجة التعاون على الدّعوة) الانفصال عن مجموع المسلمين باسم غير الذي اختاره الله لهم: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحَجّ: ٧٨]، **ولا يجوز التّميّز عن مجموع المسلمين بمنهجٍ أو مركزٍ أو أميرٍ أو بيعةٍ أو رمزٍ أو شعارٍ، قال الله ـ تعالى ـ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعَام: ١٥٩]. **وقد حذّر النّبي ﷺ حذيفة رضي الله عنه من الفرق (الإسلاميّة) حتى لو لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»** [رواه الشيخان].

وصدرت فتوى اللّجنة الدّائمة للبحوث والإفتاء (من

هيئة كبار العلماء في المملكة العربيّة السّعوديّة) رقم ١٦٧٤ في ٧/ ١٠/ ١٣٩٣هـ. بعدم جواز تكوين الجماعات الإسلاميّة إلّا بقرار من ولي الأمر. وابن جزيرة العرب أولى النّاس بالمحافظة على منهاج النّبوّة في الدّعوة إلى الله، إذ أن الله قد اختار موطنه مهدًا للدّين الحنيف، واختار لسانه للرّسالة الأخيرة، واختار قومه للدّعوة لهذه الرسالة ونشرها في الآفاق. وأدام الله فضله على جزيرة العرب فميّزها اليوم بمنهج النّبوّة في الدّين والدّعوة، فلا وجود لقبر مرتفع، ولا لوثن من المقامات والأضرحة والتّماثيل، ولا ابتداع في العبادة، ولا عيد غير عيدي الفطر والنّحر، ولا لهو ولا تجارة بعد النّداء للصّلاة، ولا اختلاط بين الجنسين في الدّراسة أو العمل، وميّزها بالمحاكم الشّرعيّة وبالدّعوة إليه على منهاج النّبوّة، وبالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وبإقامة الحدود الشّرعيّة، وبراية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وبهذا ومثله (من فضل الله) فازت دعوة الجزيرة العربيّة في القرون الثلاثة الأخيرة بينما فشلت الدّعوات والجماعات الإسلاميّة المعاصرة في تحقيق أهدافها القاصرة.

ومِن شُكر الله على ما منّ به وما فضّل به ابن جزيرة

العرب من خير في الدّين والدّنيا يتمنّاه كلّ مسلم صالح؛ عليه أن يتولّى القيادة إلى صراط الله ويحذر التّبعيّة بالتّقليد.

وعلى المؤسّسات التّعليميّة في جزيرة العرب أن تدرك كلّ ذلك، وتعدّ له، وتوجّه طلابها إليه.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدّين.

كتبه

سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين،

تعاونًا على البر والتقوى وتحذيرًا من الإثم والعدوان

في ١٤١٠/٤/١٢هـ

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
داعية المقال	٦
طلب العلم في جزيرة العرب	٧
الفكر الإسلامي المبتدع	٩
بذور التحوّل عن الوحي إلى الفكر	١٤
نتائج التحوّل عن الوحي إلى الفكر	١٨
أمثلة للتّوجيه والإرشاد الطلابيّ محكومًا بشرع الله	٢٩
الدّعوة إلى الله على بصيرة	٤٠
الفهرس	٤٥